رسالة الرياض

6 مواقع سعودية جديدة في التراث العالمي باليونيسكو

شباط (فبراير) 6

كشف المستشار في الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني السعودية علي الغبان عن تبني الهيئة تسجيل ستة مواقع سعودية جديدة في قائمة التراث العالمي باليونيسكو في كل من: عسير، والباحة، والسليل، ونجران، وطرق الحج، ودومة الجندل، خلال الفترة المقبـــلة، لتضاف إلى 5 مواقع التراثية الحالية في المملكة، كاشفا عن 30بعثة عالمية تعمل مشتركة مع الهيئة في الجوانب التــراثية، بينها اربع بعثات في المنطقة الشرقية.

وقال الغبان في كلمته بالمؤتمر الصحفي، الخاص بتسجيل واحة الأحساء كموقع تراث عالمي إن (مشاركة المجتمع المحلي في الأحساء، كان معيارا رئيسيا في تبني تسجيل الأحساء في قائمة التراث العالمي، مؤكدا أن جهود الحماية لآثار الأحساء، بدأت منذ عهد الملك عبدالعزيز، بقرار استراتيجي يتمثل في نقل صناعات البترول بعيدا عن الواحة للحفاظ عليها، كاشفا عن إضافة 12موقعا آخر في الأحساء، موضحا أنه لا تعارض بين التنمية والحفاظ على التراث، وأن التنمية خير وسيلة للحفاظ على التراث، لافتا إلى أن الهيئة مطالبة مع بدء التسجيل تقديم تقارير متكاملة لليونيسكو، لإيضاح برامج التنمية، ورصد كامل للأعمال في المواقع المسجلة).

إعجاز التباري القرآني في الشعر واللغة

إستدلالات ومحاكاة وإستنباط

قاسم المعمار
بغداد

• قد اجد من الصعوبة التأكيد الاحترازية على وجودية الدلالة المفرطة في آلية التفسير الفكري لماهية النص القرآني الكريم مدعاة الحقيقة البشرية قولاً وفعلاً بمعنى التباري القرآني في الادب العربي شعراً ونثراً .

• وهذا ما حفل به تفسير واستنباطاً الدكتور الباحث عصام صباح ابراهيم في مؤلفه الجديد المهداة لي والموسوم بـ (التباري القرآني في الشعر واللغة).

حيث جاء استهلال الكتاب تعريفا موضوعيا للشعر كونه لغة ترتقي الى لغة الات العزف لكونها برهان على منطق لغوي غنائي موزون ويتصف بالجموع كلما كان التحليق عاليا كان الشعر اعذب واجمل عالم خيالي مفترض لاواقعي حتمي , فالشعر لغة الانسان المتدفقة .

• وهنا يلاحظ ان كل فيلسوف هو شاعر او لغوي مثل ابن سينا شاعر وابن رشد له كتاب الضروري في النحو تناول فيه لغة العرب .. وتناول الكتاب لغة العرب عبر دورة معادية وفقاً لمبدأ المعاد كلام العرب –نثر –شعر عمودي –شعر حر – نثر

مع وقفة استدراكية يشير بها الى ان الشعر العربي لم يكن موزوناً في الحقبة الجاهلية دليله ان الشاعر عبيد الابرص الذي كانت قصائده ليست على بحر واحد وخصوصاً معلقته المتكونة من عدة ابحر – متشظية –وهي الخروج عن الوزن .

• ثم يورد لنا حكاية عن الاصمعي قائلا : كفاك من الشعراء اربعة... امرؤ القيس اذا ركب والنابغة اذا رهب وزهير اذا رغب والاعشى اذا ضرب . كما يرى الشاعر لبيد بن ربيعة العامري الشعراء هم الملك الضليل والشاب القتيل والشيخ ابو عقيل ويقصد نفسه .

دراسة علمية

• وقد سئل الامام علي عليه السلام عن الشعراء .. فقال ان القوم لم يجروا في حلبة تعرف الغاية عند قصتها فان كان ولابد فالملك الضليل يريد (امرؤ القيس) .

لقد اعتمد الكاتب هنا في دراسته العلمية التطبيقية التجريد والاقناع والنص من تطابق عقلي بما ورد في القرآن الجليل من نص كريم مع ما وجده من نص شعري او نثري خلال العصور الادبية العربية الستة الجاهلي –الاسلامي الاموي – العباسي –الفترة المظلمة –العصر الحديث الحالي .

تطابقا معنوياً وضمينا في المضمون وعلى سبيل ذلك نورد امثلة على ذلك كما يلي ...

• وقفة –

من هذه النماذج التطابقية في التباري القرآني الكريم في الشعر واللغة نعرض منها على سبيل المثال لا الحصر نموذجاً واحداً حيث تكون محطتنا الشعرية مع اصحاب المعلقات السبعة والعشرة كما اشرنا اليها اعلاه في العصور الادبية العربية ..

اولا : مما قاله امرؤ القيس واسمه حندج وكنيته ابا وهب في معلقته .

قفا نبك : انه خاطب الواحد مخاطبة الاثنين كقوله تعالى (القينا في جهنم) وهي تنبيه للتوكيد مثل رأي المبرد سورة ق . ايه .24

ثانيا : طرفة بن العبد في معلقته يجور بها الملاح طوراً ويهتدي كقوله تعالى (وقد خلقكم اطوارا) سورة نوح اية . 4

ثالثاً : وما قاله زهير بن ابي سلمى في معلقته أنيق لعين الناظر المتوسم : كقوله تعالى (والخيل المسومة) سورة ال عمران 14

رابعاً : وما جاء في معلقة لبيد بن ربيعة .

وجلا السيول عن الطول كأنها زبر تجد متونها اراد هنا الكشف عن الزبر وهو جمع زبور كما يقال زبرت الكتاب اي كتبته كقوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون) سورة الانبياء اية . 105

خامساً : وقال عنتر بن شداد والعبسي في معلقته ..

ياشاة ما قنص لمن حلت له حرمت عليَّ وليتها لم تحرمُ

كقوله تعالى: (والحرمات قصاص) سورة البقرة اية . 194

سادساً : الشاعر الحارث بن حلزة في معلقته اجمعوا امرهم بليل : كقوله تعالى (فاجمعوا امركم وشركاءكم) سورة يونس الاية . 71

سابعاً : وما قاله الاعشر الميمون في معلقته تسمعُ للحلي وسواساً : كقوله تعالى (من شر الوسواس الخناس) سورة الناس اية . 4

ثامناً : وما قاله عبيد بن الابرص في معلقته ارض توارثها شعوب وكلٌ من حلها محروبٌ كقوله تعالى (واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) سورة البقرة اية. 205

تاسعاً : وما جاء في معلقة النابغة زياد الذبياني ركبان مكة بين الغسيل والسند : كقوله تعالى (ببطن مكة) سورة الفتح اية .24

• يرى الباحث في دراسته هذه ومن خلال متابعاته الادبية ان كل كلام انزل من الله تعالى هو اقصوصة او قصة او رواية وكل ذلك يتبوتق في عنوان السرد بالمفهوم العام كما ان الله برأ انبياؤه ورسله من الشعر ,لكونهم يرون ويقصون كلام الله عز وجل .. (ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم) سورة ال عمران اية . 62

• وهنا نورد ما جاء بايجاز من ابحر الشعر العربي الخليلي لخمسة عشر في المصحف الكريم .

• بحر الطويل : (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر).

• بحر البسيط : (ليقضي الله أمراً كان مفعولا).

• بحر المديد : (واصنع الفلك باعيننا).

• بحر الوافر: (ويخزيهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين).

• بحر الكامل : (والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم).

• بحر الرجز : (ودانية عليهم ظلالا وذللت قطوفها تذليلا).

• بحر الرمل (وجفان كالجواب وقدور راسيات).

• بحر السريع) قال فما خطبك ياسامري).

• بحر المجتث : (المطوعين من المؤمنين في الصدقات).

• بحر المقتضب : (في قلوبهم مرض).

• بحر الخفيف : (ارايت الذي يكذب بالدين . فذلك الذي يدع اليتيم).

• بحر المنسرح :(انا خلقنا الانسان من نطفة).

• بحر المتقارب : (وأملي لهم ان كيدي متين).

• مجزوء بحر المضارع : (يوم التناد . يوم تولون مدبرين).

• مجزوء بحر الهزجل : (تالله لقد أثرك الله علينا).

ويبقى فقط بحر المتدارك وله عدة مسميات منها (المحُدث . الخبب . الخلع . قرع النواقيس . طرد الخيل)

• فيما يورد الدكتور عصام وقفة مع كتاب معاني القرآن الكريم لابي زكريا يحيى بن زياد الاقطع الفراء الديلمي المتوفي 207هجرية . رواية محمد بن الجهم السمري للعديد من الآيات في سور البقرة والكهف والمنافقين والانعام ويونس والتوبة وال عمران وعشرات السور الواردة في القرآن الحكيم .

لقد كان نزول القرآن الكريم مقرونا بمناخ عربي محض فلم يكن تأثير الاقوام من الاعاجم ملحوظاً وبعد انتهاء الخلافة الاموية اختلطت اللغة وفقدت من رونقها مما لم يجعل لونها آنذاك استشهاداً بل ايضاحاً .. ويضف الباحث ان الذي يفتري على لغة القرآن الكريم كونه خالق او مخلوق لكن الحد القاطع والرأي الثاقب للامام علي بن ابي طالب عليه افضل السلام والقائل في المصحف (لا خالق ولا مخلوق بل هو كلام الله تعالى اي صفته).

يقول الامام الصادق عليه السلام كتاب (روضة الكافي)القرآن كتبه الامام علي بن ابي طالب عليه السلام وبهذه الدلالة وجه الامام علي ابو الاسود الدؤلي الكناني الى علوم العربية ووضعها في المصحف علما ان خط كتابة المصحف كخط عروضي شعري يكتب كما يلفظ احياناً . واحيانا اخرى لمراعاة الخط البياني العربي .

ويكتب وفقاً للاسلوب البلاغي كما ان علوم العربية هي الاعراب والصرف والمعاني والبيان والبديع والعروض والقوافي وفقه اللغة والفصاحة والخطابة والاملاء والنقد قد جعل منها كلها في المصحف بواسطة الضبط كايجاد النقاط والحركات فقد كتب الامام علي عليه السلام المصحف بالخط الكوفي اليابس بالحبر الاسود . اما تلميذه ابو اسود فقد نقطه بالحبر البرتقالي المقارب للون الاحمر . اما تلميذ ابو اسود الدؤلي الخليل بن احمد الفراهيدي الازدي كان في وضع الحركات والخط الكوفي عربي عراقي كان يسمى الجاف او الحاد –فضلا عن خطوط عربية اخرى مثل الحيري والانباري والمكي موجودة انئذاك .

• ويقول مضيفاً ان المصحف الكريم نزل بثقافات لغوية سباقية متعددة فاللغة العاربة هي النضوج ولغة المتعربة هي القوة ولغة المستعربة هي الحضارة ذات الدلالة الانماجية وهي الحاوية للغة القرآن المجيد ...مستوثقاً بقول الامام علي عليه السلام (من كان سائلاً عن نسبنا فانا نبط من كوثى ويعني قريش وكوثى العراق وانما اراد النبي ابراهيم كان من نبط كوثى كما قال ابن عباس نحن معاشر قريش حيٌ من النبط من اهل كوثى والانباط من العراق . وكما انهم من ذرية ثابت بن اسماعيل بن ابراهيم ومنهم عدنان جد العرب المستعربة . فالخط العربي ماهو الا امتداد للخط النبطي).

وان المصاحف سبعة ارسلت الى مكة والشام واليمن والبحرين والبصرة والكوفة والسابع في المدينة . وان حروف العربية كانت على وفق (ابجد .هوز . حطي . كلمن . سعفص . قرشت) ثم اضيف اليها (تخذ . فظغ)

• ثم يعرج بنا الباحث على مفهومية الفصاحة والبلاغة في لغة العرب بحديث الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه واله واصحابه وسلم (انا افصح من نطق بالضاد بيد اني من قريش) وخير ما جاء في تعظيم كتاب الله تعالى ان الخليفة عمر بن الخطاب (الفاروق) كان يقول عظموا كتاب الله من حيث الحجم كبره وكان يضرب من لديه صغير الحجم ويحرقه وهو بذلك سن سنة وهي ان المصحف لابد وان يكون كبير الحجم مع رسم للكلمات كبير .

قراءات المفردة

• لقد وجدنا الكثير من الاختلاطات والتكهنات والترجيحيات في الاصول بعضها يحتمل التأويل واختلاف القراءات للمفردة في الاطالة والقصر والرد والشك سواء على صعيد الشعر والشعراء والفقهاء ومدارسهم خاصة مدرستي الكوفة والبصرة فيما يتعلق الامر بالتشريع وفقه اللغة والنحو وفروع اللغة ومواطن الشعراء والكتاب وهم مصدر اللغة حيث اعطى الدكتور عصام جهداً لائقاً لموضوعية هذه الدراسة في الكشف والبحث ودقة المعلومة التاريخية اسماً وزماناً وارثاً ادبياً خالداً في امة محمد عليه افضل الصلاة والسلام ..

• وجدت في مطالعتي لما حفل به هذا الكتاب من طرح علمي تجزيئي متناغم وراء مشفوعة بالادلة والتطابقية والشواهد التاريخية وهو ثابت قطعي في الاخذ والتقيد سواء على اصعدة الاستدلات او المحاكات والاستنباط والقياس والمفاهيم القيمة في اسلوبية علم اللغة والادب بمفهوميها الثنائي الشعر والنثر في الوطن العربي . نشأتها مراحل تطورها ولهجاتها المتعددة وحروفها وما طرأ عليها من انبعاث وتقيم فيما ورد من القرآن الكريم من تعزيزاً لهذه اللغة وامة العرب فهو القائل تعالى (كنتم خير امة اخرجت للناس) وقوله تعالى (انا انزلناه قرآناً عربياً).

انني اثني على الساعد الاصيل للدكتور عصام حينما اختار هكذا عنوان وولج هكذا موضوع فيه اهمية كبيرة من الوقوف دراسة وتتبع اخر في فقه القرآن الكريم واحكامه مع فقه اللغة العربية والربط الموضوع لهذا العنوان التباري القرآني في الشعر واللغة . وخصوبة ارضية هذا البحث دافقة في الحيوية والتألق والتعمق الدراسي المتشدد الناجح مما يتطلب متلقين بمستوى الثقافة والمعرفة فائدة للاستزادة واكتنازاً معرفية للعلاقة الاصلة مابين الاسلام والعرب ودون التعصبية المقيتة يبقى الاسلام دين المحبة والايمان والعبادة مشروع سماوي للجميع ..

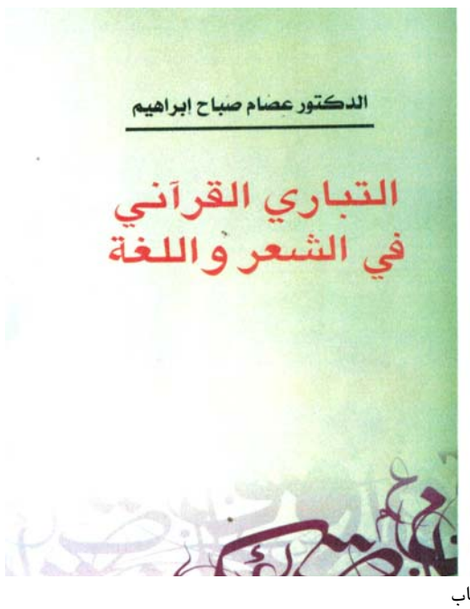

غلاف الكتاب

أرباض مقداد مسعود

التحليق خارج التجنيس الأدبي

علاء لازم العيسى
البصرة

1

يقول الشاعر الفرنسي (مالارميه) ما ملخّصه : أنّ الكاتب على علاقة متميّزة بالغياب ، وحين تتزاحم الموجودات فلا شيء ولا أحد ، وإنّنا بالكتابة نُبدِع الفراغ المحيط بنا فنضع مسافة بين أنفسنا والأشياء .

ويقول الروائي امبرتو إيكو ما نصّه : ((فمن أجل سرد شيء ما يجب في البداية القيام بدور مبدع يقوم بابتكار عالم ، ويجب أن يكون هذا العالم من الدقة بحيث نتحرّك داخله بكلّ ثقة)) (اعترافات روائي شاب ص. (28

ويصرّح الأستاذ مقداد مسعود : ((شخصيًّا كقارئ أنا مدين للمفكر الكبير سلامة موسى بالكثير .. وحده مَن فتح شهيتي على تنويعات القراءة ، وعدم التخصّص بنوع واحد من المعرفة الإنسانيّة)) (زيادة معنى العالم ص84).

2

منذ العنوان الرئيس ((أرباض)) والعنوان الفرعي ((وحدات شعرية)) ، حاول الشاعر والناقد الأستاذ مقداد مسعود ، أن يستقطب اهتمام القارئ ، ويدفعه لتوظيف ذخيرته الثقافية ، التي تمكنه من تجنيس العنوان وفهم دلالته اللغوية المباشرة ، ومع أنّ العناوين عتبات (خارج ــ نصيّة) لا تمثّل جزءًا من المتن ، إلّا أنّها تعدّ مفاتيح تفتح أبوابه .

فـ ((أرباض)) بوصفه عنوانًا للكتاب ، عبّر عن رفضه للمستهلك في العناوين وعن توافقه مع لعبة الكلمة : كلمة في علاقتها بالمكان (المدينة) لا هي غائبة ولا هي حاضرة ، لكنها متفاعلة معها ، فالأرباضُ : نواحي المدينة ، وما يُبنى حول سورها من الخارج ، أي ما حول المدينة من العمارة والضواحي ، ففي (العين) للفراهيدي : ((والربَضُ : ما حول مدينةٍ أو قصرٍ من مساكنِ جُند أو غيرهم ، ومسكنٌ كلّ قومٍ على حِيالهم : ربَضٌ ، ويُجمعُ على أرباض)) .

غلاف المجموعة الشعرية

و ((وحدات شعريّة)) عبّرت عن التفرّد والتجريب في البحث عن جنس أدبيّ جديد ، ومحاولة التملّص من الحدود التقليدية للأجناس الأدبيّة ، التي يعدّ أرسطو هو الواضع الأوّل للأسس التي تقوم عليها ، والتي نظر إليها وكأنها كائنات عضوية تنمو وتتطور حتى تبلغ كمالها وتستقر ، وتتوقف عن النمو .

والحقيقة أنّ إبداع التداخل في الأجناس الأدبيّة ، وفي غير الأدبيّة كالتأريخ والفلسفة والسيرة الذاتيّة والتجارب التي عاشها كاتب أرباض ، ينبع من موهبة كبيرة تأبى الانحصار ضمن نطاق محدّد شكلًا ومضمونًا .

3

وتأسيسًا على ما سبق استعان الكاتب عند كتابة وحداته الشعرية بـ (ذاكرة بعيدة المدى) اندمجت فيها أربع ذواكر : ذاكرته ككاتب ، وذاكرة المكان ، وذاكرة التاريخ ، وذاكرة المتلقّي ، وهذا الاندماج والتداخل بين هذه الذواكر الأربع ، أنتجَ نصًّا منتجًا للدلالات والرموز .

فلا غرابة أن يتحوّل اسم (المقبرة) في أرباض إلى (مزرعة) ، لأنها تضمّ بين أطباقها عقولًا منتجة تركوا آثارًا في الإرث المعرفي لمدينتهم ، وهذا ما نقرأه في قول الكاتب : ((طيرٌ من أجله قصدتُ مزرعة الحسن البصري ، ويممتُ شطر ابن سيرين فانتشلته من حيرته بين المحاميد الثلاثة : البروف الاقتصادي محمود الحبيب ومحمود البريكان ومحمود عبدالوهاب)) (ص . (15

4

ولكي يسحر القارئ ، ويأسر لُبّه ، فلا يستطيع الفكاك من لغة تجربته الفنيّة ، لم يكتف الكاتب بالتناول السطحي للأشياء والحيوانات والجمادات والأنواء ، وإحصاء أشكالها وألوانها فقط ، بل نفذ إلى جوهرها ، وأنسنها ، فأخرجها من إطار ماديتها ، لتصبح جزءًا من النسيج الإنساني ، وخلع عليها رموزًا وأحاسيسًا ، ومنحها قلبًا وذاكرة ((فالأشياء لا وجود لها ولا قيمة بدون المعنى الذي يخلعه الإنسان عليها ، وبدون المشاعر التي يلونها بها وبدون الأحاسيس التي ينفخ بها في روحها)) كما يرى أحد النقّاد .

فالمطر عند مقداد مسعود ((يتباهى بعريه ويصفع الماء المؤطّر ، في تدفّقه أو تموّجه ، يهزأ بالماء الغضوب)) (ص (18والبقاء للريح ((فتيةٌ دومًا ، وراقصة للأبد ، ولا تستحي لا تستحي ، تتسلّى بمصائرنا بسفائننا ، يستفزّها كبرياء الشجر)) (ص ? (17و((الفل يستحي مثل الفيل ومثل الفيل والفل يستحي الحصان ... وحده الماعز لا حياء له ومنه انبجست عنكبوت التقانة)) (ص ? (12و((الساقية الآن تعاني احتباسًا وسرطنة وكوابيس تسردها منهولات لا تتوقف عن تثقيب رئة الساقية وقلبها وذاكرتها)) (ص . (72

5

وبما أنّ الجسم والعقل والنفس ، كلّها تعمل مع بعضها البعض في أثناء التفاعل الاجتماعي ، فلا يعمل أحدها بمعزل عن الآخر ، عُدّت هذه الأجزاء أجزاءً أساسيةً من البناء التركيبي للمعنى .

ومن يتتبع روحية وحدات أرباض يجد أن نفس الكاتب أبعد ما تكون عن الفرح والسرور ، فمن خلال تنافذه النفسي والمادي مع الواقع القاتم ، والمستقبل الأقتم ، طالما شعر بالغربة والحزن والخوف ، وهو حزنٌ دائم الحضور ، ناجم من الصدمات العنيفة التي عانى منها ، ولا زال ، ممّا جعله يسعى إلى بناء عالم خاص به ليأمن من سطوة البحر وصخبه وغدره : ((وأنا في كلّ هذا وذاك ، وخوفًا من البحر العميق ، صنعتُ لي صحرائي فيه ، ونأيتُ عن عمقه وصخبه وغدره)) (ص . (48

وتصل رسالة حزن من نوع آخر ترثي الوطن الذي بيع في ملاه ومقاه ، وفنادق الدرجة الأولى والأخيرة ((ليتم المضاربة بها وتستبدل هيمنة بهيمنة أشدّ من الحنظل ، طغمة ماليّة ريعيّة طائفية مصابة بلوثة لاهوت الربض ، لا يتوقفون عن تصقيل مرايا أسيادهم)) (ص . (43

ويرثيه مرة أخرى لتقدمه إلى الخلف ((كروش الدولة تطوّق كروش السوق ، هنا يكون الإله المعبود ، هو : الريع .. إذن الديانة الاقتصاديّة السائدة هي وحدانية الريع ، لا لتنمية الوطن إنتاجيًا ، نعم لتهريب الأموال)) (ص. (66

وربّما داخله الحزن بسبب الديدان المجهرية التي ((تفتكُ مسرّاتنا فنتوقف عن الحلم بقرار من الغير البغيض)) ولكن رغم هذا الحزن والقلق والخوف يبقى الأمل بالانبعاث ، وباستمرار المسيرة ، ولذلك ((لا بدّ من حراسة أحلامنا بسراج الفطنة حراستها من الرابضين والمتربضين بنواظير بنادق القنص)) (ص ? (74وإن كانت تلك الأحلام بعيدة المنال ((في أحلامها معانٍ مؤجلة ، في أحلامي أشجار نفضيّة ، لأحلامنا : ظلّ عشب يتدفق ، ، نتحاور ، نتكاتب ، هي تكتبني نهرًا ، أنا أكتبها وردة تغتسل بي كلّ فجر)) (ص . (88

6

أخيرًا ، فإنّ القارئ الدارس لكتاب (أرباض) للأستاذ الأديب مقداد مسعود ، تحت إجناسية (وحدات شعرية) ، الصادر عن دار ضفاف للنشر / بغداد ــ الشارقة ، ينتابه شعور بأنه محلّق بين تركيبة ذات المؤلف بذواكرها المتعددة والمختلفة ، وعلائق محيطه القاتم ، ويشعر بأن الكاتب الكريم قد ضمّن وحدات كتابه رسالة ما ، فما هي الرسالة التي أراد الكاتب إيصالها لقرّائه .